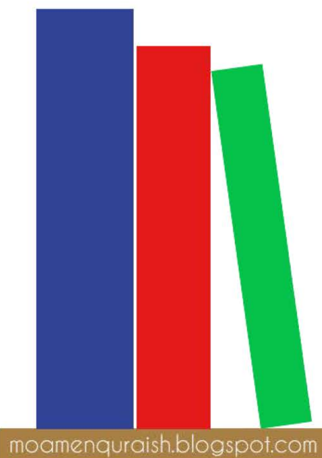


الشعائر الحسينية
في مدرسة أهل البيت

شهيد المحراب

آية الله السيد محمد باقر الحكيم



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .

الإمام الصادق (ع)



الشعائر الحسينية

في مدرسة أهل البيت

شهيد المحراب

آية الله السيد محمد باقر الحكيم

نص الحوار الذي أجرته مجلة التوحيد الصادرة في طهران مع شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم بعددها ٩٤ بتاريخ محرم الحرام ١٤١٩هـ تحت عنوان «**الشعائر الحسينية الموقف الشرعي والرسالي**» المصدر «كتاب مقدمة في الإصلاح والتجديد للشعائر الحسينية» حسين بركة الشامي.

الأهداف والمنطلقات

ما هو برأيكم الهدف من إقامة الشعائر في الإسلام بشكل عام والشعائر الحسينية بشكل خاص؟

في هذا السؤال يوجد شقّان:

الأول: ما يتعلّق بأهداف الشعائر في الإسلام، وقد تناولنا هذا البحث بشيء من التفصيل في بحث «البسملة» من تفسير سورة الحمد، وبنحو من الإجمال في كتابنا: «دور أئمّة أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة»، وهنا أشير – أيضاً– بشيء من الإجمال إلى ذلك:

١) أن الشعائر لها دور مهم في تشخيص هوية الجماعة، وترسيخ انتمائها إلى الإسلام وتميزها عن الجماعات الأخرى، لأن الشعائر تعّبر عن المظهر الخارجي للأمة الذي ينبثق عن العقيدة والفكر الذي تتبنّاه هذه الجماعة أو تلك، ولذا فهي تعبّر شخصية الأمة والجماعة واستقلالها، ومن ثمّ ينمّي فيها الشعور بالعزّة والكرامة والاعتداد بالانتماء والتمّسك بالإسلام والعقيدة.

٢) أن الشعائر لها دور أساس في تحقيق الهدف الرئيسي من الرسالة وهو الإخراج من الظلمات إلى النور وإيجاد التغيير الاجتماعي الصالح، حيث تكون الشعائر ممارسة «عملية» أو «كلامية» تؤثر بطبيعة الحال على «المحتوى الشعوري والعاطفي والعقلي» من خلال الممارسة المستمرّة وتطابق الظاهر مع الباطن والشكل مع المضمون، فكما أن المضمون العقائدي للإنسان له دور كبير في التأثير على سلوكه، كذلك السلوك له تاثير على ترسخ المضمون العقائدي.

وهذه النظرية في تكامل الإيمان والعقيدة من خلال العمل تبنّاها أهل البيت عليهم السلام وأكدوا عليها في حياة الإنسان ومسيرته التكاملية، هذا من ناحية الفرد.

ومضافاً إلى ذلك يكون لهذه الممارسة دور في التأثير على الحالة الاجتماعية والأفراد الآخرين من خلال ما توجده من عرف عام يكون له – عادة – تأثير أكبر من القوانين والتشريعات.

ولذا يكون التعامل مع الشعائر أمراً بالغ الخطورة والحساسية باعتبار هذا الدور والأثر الراسخ في الحياة الفردية والاجتماعية.

٣) أن الشعائر لها مداليل وآثار متعدّدة على الحياة الاجتماعية بحسب طبيعتها ومضمونها:

فلها آثار «تربوية» كإيجاد العرف العام الذي يساهم بقدر كبير في ضبط السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعة.

وآثار «سياسية» من خلال الأداء الجمعي لها، الذي يظهر قوّة الجماعة وتمسكها وعزّتها وكرامتها كما نراه في صلاة الجماعة والحج.

وآثار «حركية» حيث تودّي إلى كسر حاجز الخوف والتردّد عند بعض الأفراد، من خلال الانسجام في الحركة مع الآخرين.

وآثار «اجتماعية» من خلال تأكيدها للعلاقات الاجتماعية بين الجماعة، وإيجاد روح التضامن والتعاون والتفاهم والانسجام والمودّة بين أفرادها، مضافاً إلى تبادل المنافع والمصالح كما هو الحال في الحج وغيره.

وآثار «إعلامية» من خلال ما تقدّمه الشعائر للناس من مضامين عقائدية وفكرية وأخلاقية، وما تحقّقه من وعي وفهم للحقائق كما أنّها تصبح أفضل وسيلة – في كثير من الأحيان – للتعبير عن المتبنيات السياسية والاجتماعية.

الثاني: ما يتعلّق بأهداف الشعائر الحسينية. فإن الشعائر الحسينية تأتي في إطار الشعائر الخاصة التي اهتم أهل البيت عليهم السلام في سنّها لشيعتهم وللجماعة الصالحة من أتباعهم لتحقيق عدّة أهداف رئيسية عامة:

١) تعميق الشعائر الإسلامية العامة وتأكيد أهدافها التي أشرنا إليها، حيث

نلاحظ أن الشعائر الحسينية لا تخرج بصورة عامة عن منهج الشعائر العامة ونسقها، بل هي إما أن تكون تجسيداً لخط عام أقرّه الإسلام كما هو الحال في الزيارة والمجالس الحسينية ومظاهر الحزن، أو مناسبة ذات صلة وطيدة بالإسلام وحركته كما هو الحال في إحياء الشعائر لذكريات أهل البيت عليهم السلام ، ولا سيما الإمام الحسين عليه السلام الذي ورد الحديث المؤكد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بحبّه وفضله ومودّته ومقتله واستشهاده.

٢) تمييز شيعتهم وأتباعهم بالخصوصية والهوية ولو على مستوى الإحساس الداخلي للجماعة أو الروحي والنفسي لها، لاسيما إذا لاحظنا أن اقتصار الجماعة على ممارسة الشعائر الإسلامية العامة وحدها سوف يعرّضهم للانهيار في الأوضاع العامة السائدة بين الناس، وقد أراد أهل البيت عليهم السلام لاتباعهم أن يتعايشوا مع الناس لا أن يذوبوا في أوضاعهم، أراد لهم أن يؤثروا في هؤلاء الناس ويكونوا الأسوة والقدوة الصالحة لهم لا أن يتأثروا بهم.

مضافاً إلى أن جماعة أهل البيت عليهم السلام في كثير من الأدوار لم يكونوا قادرين على أن يمارسوا الشعائر العامة على وفق مذهبهم بسبب ظروف القمع، فإذا أرادوا أن يكتفوا بذلك فسوف يفقدوا الضمان للاحتفاظ بالخصوصية فتصبح هذه الشعائر الخاصة ضماناً لذلك.

ثالثهما: تكريس وتوظيف عامة الأهداف المقدّسة للنهضة الحسينية وتثقيف الأمة عليها وتربيتها وتوعيتها على مضمونها، وتتمثّل أهداف هذه النهضة في الأمور التالية:

١) إيقاظ ضمير الأمة وتوعيتها والارتفاع بوجدانها إلى الدرجة الأخلاقية المناسبة، وهذا هو البُعد الأخلاقي فيها.

٢) توضيح الموقف الشرعي للإنسان المسلم تجاه الطغيان والجور عندما يصدر من الحكّام المسلمين، ويصل إلى درجة الاستهتار بالحرمات والمقدّسات الإسلامية، ويتحول الوضع السياسي إلى اتخاذ «عباد الله خولاً ومال الله دولاً» كما عّبر عن ذلك الإمام الحسين عليه السلام وهو البُعد الفقهي في هذه الشعائر.

٣) المحافظة على العقيدة والثقافة الإسلامية الأصيلة والرؤية الصحيحة لمختلف قضايا الأمة المصيرية، في أدوارها المتعدّدة، وهذا هو البُعد الثقافي.

٤) تربية الأمة على الاستعداد للتضحية والفداء من أجل الإسلام والدفاع عنه ومن أجل الحق والعدل وهذا هو البُعد التربوي.

الأهداف التفصيلية

مضافاً إلى ذلك نجد ضمن إطار هذه الأهداف العامة مجموعة واسعة نسبياً من الأهداف التفصيلية التي **نشير في هذه العجالة إلى أربعة خطوط منها**، حيث تستهدف الشعائر الحسينية بمجموعها أو كل واحد منها هذه الخطوط أو بعضها بصورة رئيسية:

الخط الأول: هو التعبئة الروحية والمعنوية، وهو خط تكاد تشترك فيه جميع هذه الشعائر، ولا سيّما التي سنّها أهل البيت عليهم السلام ومارسوها بصورة خاصة، كالزيارة والبكاء والمجالس الحسينية.

الخط الثاني: هو التربية الأخلاقية للإنسان في العدل والظلم وحقوقه الاجتماعية والتفاعل معها وجدانياً وأخلاقياً، وتربيته على أخلاقية العطف والرحمة في مقابل قسوة القلب وأمراضه، كذلك تربيته على الإحساس والشعور بالمسؤولية تجاه هموم الأمة وآلامها.

ولعل شعائر الحزن والبكاء والتظلّم تستهدف بصورة رئيسية هذا الخط من الأهداف[1].

الخط الثالث: هو الخط السياسي الذي يؤكّد الولاء والعهد والبيعة مع الإمام الحسين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام والالتزام بمنهجهم وطريقتهم وأهدافهم، والبراءة من أعدائهم وأعداء الإسلام ومنهجهم وطريقتهم وأهدافهم، والبراءة من أعدائهم وأعداء الإسلام ومنهجهم وطريقتهم واهدافهم وأوليائهم.

ولعل شعار الزيارة بطريقتها ومضمونها وتأكيد الإتيان بها، يستهدف بصورة

١) تناولنا توضيح ذلك وبقية ابعاد هذا الشعار في كتابنا: دور أئمّة أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة ج ١/ ١٤٣ – ١٤٨.

رئيسية هذا الخط، ولا سيّما إذا التفتنا إلى ما تتضمّنه هذه الزيارات من تجديد عهد وبيعة سواء بالقصد للإمام الحسين عليه السلام ، أو بمخاطبته، بأنه وارث الأنبياء ووارث خاتمهم جدّه محمد صلى الله عليه وآله ، وأنه على الحق والهدى وإقامته للصلاة وإتيانه للزكاة وأمره بالمعروف ونهية عن المنكر، ثم وليٌ لم والاكم وعدوٌ لمن عاداكم، وسلمٌ لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم، ثم اللعن لأعدائهم وقاتليهم ومن شايعهم وتابعهم إلى يوم القيامة.

كما أن للزيارة أهدافاً اخرى تشبه إلى حدٍّ أهداف الحجِّ الروحية والمعنوية والمادية والسياسية(١).

الخط الرابع: الخط الثقافي يتولّى نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة ومواجهة البدع والضلالات أو الشبهات التي تثار حول الإسلام وحول مذهب ومدرسة أهل البيت، حيث كانت الشعائر الحسينية مدرسة سيّارة ومتحرّكة ومرنة وقويّة في هذا المجال.

ولعل شعائر المجالس الحسينية تستهدف بصورة رئيسية هذا الخط، مضافاً إلى الأهداف الأخرى التي يمكن أن تتحقّق من خلالها(٢).

أهمية الشعائر

إذا كانت هناك ضرورة لإقامة الشعائر في الماضي فهل لا زالت تلك الضرورة تفرض نفسها على الحاضر بتطوّره الهائل؟

من خلال الجواب عن السؤال الأول اتّضح أن الأهداف التي اسّست من أجلها الشعائر الحسينية لم تكن أهدافاً مؤقتة أو مرحلية، بل هي أهداف باقية وتمثّل حاجات ثابتة ومتجدّدة للحياة الاجتماعية، كما أن الأسلوب الذي يتمّ به أداء هذه الشعائر هو أسلوب حضاري ينسجم مع النظرة الإنسانية، ولا سيما الشعائر التي إستنها أهل البيت عليهم السلام كما سوف نشير إلى ذلك.

ومن هذه الرؤية يمكن أن نجزم بوجود الضرورة لإقامة هذه الشعائر، حتى في هذا الظرف الذي تطور فيه «الحاضر» تطوراً كبيراً.

١) المصدر السابق: ج ١/ ١٥١-١٥٤.
٢) راجع المصدر السابق: ج ١/ ١٥٥-١٥٩ز

نعم لا بدّ من الاستفادة من هذا التطوّر في أداء هذه الشعائر الحسينية عبر أدوار التاريخ المختلفة، وبالرغم من ظروف القمع والمطاردة التي تعرّض لها أتباع أهل البيت عليهم السلام وتعرّضت لها الشعائر الحسينية بالذات.

بل أن هذه الشعائر لم تتمكّن من البقاء والاستمرار فحسب، بل توسّعت وتطوّرت في أدائها وفاعليتها وتأثيرها في المجتمع الإسلامي، بحيث كانت الثورة الإسلامية في إيران أحد آثارها ونتائجها، كما عبّر عن ذلك الإمام الخميني قدس سره قائد هذه الثورة في تقويمه لهذه الشعائر. ولا زالت هي مصدر الوعي والإلهام والتوجيه والهداية في الكثير من بلاد العالم الإسلامي.

ولا شك أن اسباباً أخرى ساهمت في بقاء واستمرار هذه الشعائر:

- **منها** تأكيد أئمة أهل البيت عليهم السلام لها ودورهم في تثبيتها وتثقيف الناس عليها وترسيخ وجودها في وعي الأمة وحياتها الاجتماعية.

- **ومنها** ارتباط هذه الشعائر بحب النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم الصلاة والسلام، هذا الحب الذي يمثل أحد القضايا الهامة في عقيدة المسلمين وحياتهم.

- **ومنها** وجود الجماعة الصالحة المتمثلة بشيعة أهل البيت عليهم السلام واستمرارها ونموها وتطورها لأن هذه الشعائر - كما ذكرنا - تمثل هويتها.

ولكن يبقى العامل الأساسي والمهم الذي كان له دور التأثير على بقية العوامل وهو أن الشعائر تمثل حاجة ثابتة وضرورة في حياة الناس واجتماعهم.

تفعيل الشعائر

للشعائر في الإسلام دور إيجابي كبير، وللشعائر الحسينية بالذات وظيفة تربوية وتعبوية إذا أحسن استثمارها، فكيف يمكن تفعيل الأبعاد الإيجابية في الشعائر؟

يوجد خطّان في الشعائر الحسينية:

أحدهما: الخط الثابت الذي سنّه أهل البيت عليهم السلام ومارسوه شخصياً وحثّوا شيعتهم عليه، وهو يتمثل بالبكاء ومظاهر الحزن والزيارة والمجالس الحسينية.

ثانيهما: الخط المتحرك الذي ابتكره الشيعة للتعبير عن حبهم ومودتهم لأهل البيت وتعظيمهم لهم وتجسيد مشاعرهم وعواطفهم تجاههم.

ويمكن أن نتصور التفعيل للخط الأول من الشعائر واستثمارها من خلال عدة نقاط:

١) التأكيد في أداء هذه الشعائر على الأهداف الصحيحة التي وضعت من أجلها والتي اشرنا إليها آنفاً والاهتمام الخاص في أدائها بهذه الأهداف، بحيث تبقى الأهداف حيّة ماثلة للعيان في الأداء والتنفيذ.

فمثلاً عندما يذكر الزائر الإمام الحسين عليه السلام والبراءة من أعدائه أو الولاء لأوليائه تكون صورة الأعداء والأولياء التاريخيين والفعليين ماثلة للعيان ولا تتحول القضية إلى مجرد تاريخ يعيش فيه الماضي دون إنطباق له في الحاضر.

وعندما يتحدث عن المتخاذلين عن الإمام الحسين عليه السلام والذين كانوا يعيشون الازدواجية في الشخصية حيث كانت قلوبهم مع الإمام الحسين عليه السلام وسيوفهم عليه، يحاول أن يطبق هذه الصورة على الواقع المعاش له ولأبناء مجتمعه فيتجنب الإنسان المؤمن مثل هذه الإزدواجية وهكذا..

٢) الإستفادة من التطورات الكبيرة التي يشهدها عالمنا اليوم في اداء وتنفيذ هذه الشعائر، فهذه الإجتماعات الضخمة في مجالس أيام العشر الأولى من المحرم، وهذه التجمعات العظيمة في زيارات أئمة أهل البيت عليهم السلام وهذا التفاعل العاطفي والشعور العميق مع المأساة، يمكن أن يوظف بشكل كبير ومنظم ودقيق لخدمة هذه الأغراض والأهداف العظيمة في الثقافة والتوعية والتزكية والأخلاق والتعبئة الروحية لبناء المجتمع الصالح ومواجهة الأعداء.

٣) التنوع في أساليب تنفيذ هذه الشعائر، بحيث يمكن أن تستوعب كماً وكيفاً مساحات أخرى في الأداء والتنفيذ، حيث يمكن أن نقيم – مثلاً – إلى جانب المجالس المعروفة، وهي مهمة وضرورية – ندوات ومؤتمرات حسينية

تضيف - نوعاً وكماً الكثير من المنافع والفوائد.

وفي الزيارات يمكن أن نقيم الدورات الثقافية ووسائل التثقيف الأخرى، والأعمال الاجتماعية والثقافية، كالمكتبات، ومؤسسات الإغاثة، والمؤسسات الصحية التي يمكن أن يعبر من خلالها الزائر عن عهوده ومواثيقه والتزاماته تجاه الإمام الحسين عليه السلام وأهداف ثورته مضافاً إلى الزيارة.

وأما تفعيل الخط الثاني فيمكن أن يتم من خلال بعدين:

الأول: بعد التطوير في مراعاة الظروف الإنسانية والإقتصادية والمدنية والاجتماعية التي يعيشها الناس بحيث تسمح بالمشاركة الواسعة والفاعلة لأن الإبتكار والتجديد أريد له أن يتحرك مع الناس ويواكب أساليبهم في التعبير ضمن الضوابط الشرعية ليبقى الإنسان متفاعلاً من خلال الأسلوب مع المضمون والأهداف.

الثاني: بعد الأستفادة من التكنولوجيا الجديدة مثل: السينما والمسرح والتلفاز والمذياع والصحافة والكمبيوتر ووسائل الإرتباط الجديد، والأقمار الصناعية وغيرها من الوسائل.

ومن الطبيعي أن لا يكون هذا التفعيل بديلاً - بالضرورة - عن هذا الأسلوب أو ذاك بل يمكن أن يكون تكميلاً وتطويراً وإضافة في الأساليب والفائدة حسب الحاجة والظروف.

شرعية الممارسة

هل الشعائر عمل عبادي قد ضبطت الشريعة الإسلامية حدوده وكيفيته، وحينئذ تكون الشعائر عبادة توقيفية، فيتوقف ممارسة أي لون آخر منها على إذن من الشارع المقدس، والقدر المنصوص عليه من شعائر الإمام الحسين عليه السلام "كما ورد في الروايات" هو إقامة مجالس العزاء بما يكتنفها من حزن وبكاء أما الانماط الاخرى المستحدثة فتبقى بدون إذن، أو أن الشعائر هي مجرد لون من ألوان التعبير عن الحزن على الإمام الحسين عليه السلام فلا تحتاج إلى اي ضابطة شرعية؟

الشعائر الحسينية عمل عبادي يتقرب به إلى الله تعالى وهي نوعان:

الأول: الشعائر الحسينية المنصوص عليها، حيث ورد فيها نص ثابت وصريح عن النبي ﷺ أو أهل بيته عليهم السلام.

والثاني: الشعائر الحسينية التي لم يرد فيها نص وإنما إبتكرها اتباع أهل البيت عليهم السلام، كمصاديق لعنوان عام ورد فيه نص شرعي مطلوب، وهو تعظيم شعائر الله تعالى. قال تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج : ٣٢]

فالنوع الأول يتصف بالثبات بالشكل والمضمون والأداء، وهو باق لأنه - كما ذكرنا - يمثل حاجات حقيقية ثابتة في المجتمع الإنساني، وفي مجتمع الجماعة الصالحة ومصاديقه الواضحة: البكاء ومظاهر الحزن والزيارة والمجالس الحسينية.

وأما النوع الثاني وهو المبتكر مثل المواكب الحسينية ومشاهد تمثيل المأساة التي جرت على الحسين عليه السلام أو المسيرات الشعبية وغيرها أو ما يتم إختراعه وإبتكاره منها فإنه لا بد أن يخضع لضابطة شرعية مستنبطة من النصوص الدينية.

ويمكن تلخيص هذه الضابطة في أمور:

١) أن تكون الممارسة والأسلوب تعبيراً «عرفياً»[1]. عن تعظيم الإمام الحسين عليه السلام، أو إظهار الحزن عليه، أو المودة فإن ذلك يكون تعظيماً لشعائر الله تعالى لأن الحسين هو «ثأر الله» فهو شعيرة من شعائره ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ مضافاً إلى وجود النصوص العامة التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام التي تدعو إلى إظهار الحزن والتعظيم له أيام عاشوراء.

٢) أن تكون الممارسة ذات قيمة معنوية ومحتوى إنساني أو فكري أو روحي يصب في أهداف الشعائر الحسينية التي أشرنا إليها.

١) المقصود من التعبير العرفي أن يكون من الأساليب التي يمارسها العقلاء والعرف العام الإجتماعي في التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم.

٣) أن لا تكون الممارسة مما نهى عنها الشارع المقدس بعنوانها الخاص لانطباق عنوان محرم عليها كالضرر أو الهتك أو الإختلاط غير المباح بين الرجال والنساء.

ويجب أن لا تتضمن الممارسة آثاراً سلبية مثل هتك حرمة أهل البيت عليهم السلام أو إعطاء صورة مشوّهة أو إنطباع عام غير صحيح أو تكون منفرة ومقزّزة كما هو الحال في بعض الممارسات التي توحي بمثل ذلك في جميع الأوساط الاجتماعية أو في بعضها على الأقل، حيث لا يعرف لها مثيلاً في لون من ألوان العبادة أو السلوك الإجتماعي العام الذي أقرّه الشارع المقدس أو ندب إليه. فإن هذه الممارسات التي ينفر منها الوجدان الصافي والذوق الإنساني السليم التي لا تجد تفسيراً منطقياً لها ينسجم مع العقل والفطرة السليمة، لا صح الإتيان بها ولا نسبتها إلى الشعائر الحسينية إذ لا ينطبق عليها أي عنوان من العناوين السابقة المشروعة.

كما لا يصح القيام بممارسات تؤدّي إلى الوقوع في الحرام أو تقترب منه كالتعرّي أمام النساء أو الإختلاط بين النساء والرجال بطريقة منافية للحجاب الذي وضعه الشارع بينهما، أو إستخدام الطرق التي يستخدمها أهل الفسوق في مجالسهم العامة للغناء وأمثال ذلك من المخالفات.

حكم المستجد من الشعائر

إذا كانت الشعائر الحسينية ممارسات عبادية فما هو حكم الشعائر التي استحدثت فيما بعد والتي تمارس الآن على نطاق واسع وفي مختلف أنحاء العالم، والتي يسيء بعضها للإسلام ولشعائر الإمام عليه السلام؟

ذكرت في جواب السؤال السابق الحكم والموقف العام تجاه الشعائر المستحدثة والمبتكرة، ووجوب التمييز فيها بين الممارسات التي تنسجم مع الأهداف من ناحية والعنوان العام الذي يعطيها الشرعية من ناحية أخرى أو الممارسات التي لا تنسجم مع الأهداف من ناحية والعنوان العام الذي يعطيها الشرعية من ناحية اخرى أو الممارسات التي تنسجم مع ذلك ولا تتقّيد بهذه

الضابطة، فإن هذا النوع الثاني لا يصح الإتيان به بعنوان التدين به، فضلاً عن الممارسات التي تسيء إلى الإسلام أو تسيء إلى شعائر الإمام الحسين عليه السلام أو إلى أهداف ثورته المقدسة.

وتعرض الشعائر الحسينية إلى هذه المشكلة ليس أمراً غريباً في التاريخ الإنساني ولا في تاريخ الرسالات الإلهية، حيث نلاحظ أن تاريخ الرسالات الإلهية واجه مثل هذه المشكلات من قبل، ثم تحريف وإضافة ممارسات وأعمال إلى شعائر هذه الرسالة أو تلك، فكانت البدع والضلالات، فأرسل الله تعالى أنبياءً ورسلاً من أجل إعادة الأمور إلى مجاريها الصحيحة، وكان بعض هؤلاء الأنبياء - أيضاً - من أولي العزم.

فإن الهدف الأساسي من رسالة المسيح عليه السلام هو تصحيح ما تعرّضت له رسالة موسى عليه السلام من تحريف في مجال العقيدة والعبادة بصورة خالصة كما يفهم ذلك من القرآن الكريم.

وقد توقّع رسول الله صلى الله عليه وآله أن تتعرض رسالته لمثل هذه المشكلة، فكانت إحدى المهمات الأساسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وعلماء المسلمين من بعدهم القيام بواجب نفي هذا التحريف وإزالته عن الرسالة.

ولذلك فإن من واجبات علماء الإسلام الأعلام من أتباع أهل البيت عليهم السلام، أن يتحمّلوا مسؤولية تنزيه الشعائر الحسينية من مثل هذه الممارسات الضارة أو غير الشرعية.

ولذلك نجد أن هذه القضية كانت مثاراً للبحث والحديث والمواقف المختلفة إزاءها[1].

وكان من جملة المواقف المشهورة في هذا المجال لمراجع الإسلام العامين، هو موقف الإمام الحكيم قدس سره تجاه ممارسة ما ابتدعه بعض الأشخاص من شعائر «الدخول في النار مشياً على الأقدام العارية»، فإنه قدس سره أصدر فيها

١) وقد تحدثت عن هذا الموضوع في البحث عن الشعائر الحسينية المنشورة في مجلة رسالة الثقلين: ٢٢/ ٣٩، وبيان خلفية مواقف علماء الإسلام تجاه هذا الموضوع فليراجع، أجد من المناسب ذكر موقف السيد محسن الأمين العاملي من قضايا التطبير والتشبيه فقد كان موقفاً صارماً أدى إلى تفاعلات إجتماعية.

فتوى المنع وتصدّى لمنعها عملياً، وكذلك فتواه في موضوع التطبير التي كانت تنص على عدم جوازه إذا كان يؤدّي إلى تشويه صورة المذهب أو الهتك لأتباع أهل البيت، **وكان يقول**: إن هناك قضيتين رئيسيتين أدت إلى تخلفنا والحد من إنتشار مذهب أهل البيت في أوساط المسلمين، **إحداهما قضية** «السبّ والشتم»، **والأخرى قضية** الشعائر المنفّرة والغريبة.

كما روي عنه تتمَّتُ أنه كان يقول: «لا زال التطبير غصّة في حلقومنا».

وكذلك موقف الإمام الخميني تتمَّتُ كان يرى حسن ترك التطبير لما كان يشخصه من أضرار بالغة للجماعة الصالحة.

مضافاً إلى موقف قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد الخامنئي الذي قال بشكل قاطع أن هذا العمل يسيء إلى مذهب أهل البيت واتخذ قراراً بمنعه في الأوساط العامة.

كما أن عدداً كبيراً آخر من العلماء كانو يرون هذا التشخيص في هذا الوسط أو ذاك، وقاموا بعمل من اجل هذا التنزيه.

تصحيح الشعائر

هل تهذيب وتصحيح الشعائر يتقاطع مع تجسيد مظلومية آل البيت ويختزل قيمة الشعائر الحسينية؟

لا يتقاطع مع المظلومية لإن المظلومية يمكن التعبير عنها وفق المنهج الصحيح الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام وترك الباب مفتوحاً أيضاً للتطوير والتجديد، ولكن في إطار الضوابط ومنها عدم الأنحراف بالمظلومية عن أهدافها الحقيقية، بحيث تتحول إلى مجرد إجترار للحزن والآلام أو الإنكفاء على الذات في خط الإحباط أو النقمة والرفض بل يجب أن يكون لله ومن أجل الله تعالى والحب لله ومن أجل الله تعالى، بل يكون دور مثل هذه الممارسات سلبياً تجاه المظلومية التي تعرض لها الإمام الحسين عليه السلام وتذهب بمظلوميته في النظر الإنساني العام.

يعتقد البعض أن ممارسة الشعائر محكومة بظروفها السياسية، فإذا

كانت تشكل تحدياً للظلمة فلا بأس بإقامتها حتى وإن ورد نهي عن بعضها من قبل الفقهاء، فهل يكفي التحدي السياسي مسوغاً لممارسة بعض الشعائر التي تشوّه رسالة الشعائر والهدف الحقيقي من إقامته؟

النهي إذا كان من الشارع المقدس فهو نهي ثابت لا يتاثر بالظروف ما لم تسقط الظروف الإختيار أو تحقق الاضطرار أو وجود المصالح الأهم في باب التزاحم.

وتشخيص مثل هذه العناوين إجتماعياً إنما هو بيد المرجعية الدينية السياسية «ولي الأمر» والحاكم الشرعي المتصدّي للعمل السياسي والإجتماعي.

وأما إذا كان النهي من الولي الحاكم فهو يرتبط بالمصلحة التي يشخصها هذا الولي الحاكم ونفوذ حكمه فإذا تغيرت المصلحة أو اختلفت الظروف فيمكن أن يتغير الحكم بسببها لأن الحكم الولائي تابع لتشخيص هذه المصلحة وتحديد الموقف تجاهها.

والحاكم الشرعي هو الذي يحدد أهمية التحدي السياسي والمصالح المترتبة عليه ومقارنتها بالأضرار ذات العلاقة بتشويه الشعائر والهدف الحقيقي منها.

ما رأيكم بمن يعتقد أن نقد وتهذيب وتطوير الشعائر الحسينية عمل خاطئ لأنه مساس بعقائد الناس؟ وهل يجوز ترك من يكرس الشعائر الحسينية لمصالحه الخاصة أن يعبث كيف يشاء من دون ضابط شرعي؟

هذا السؤال يشتمل على شقّين:

أما الشقّ الأول من السؤال فإنه بالنظر إلى وجود حساسية خاصّة لهذه الشعائر وإرتباطها بجوانب عقائدية وثقافية وأخلاقية وتقاليد وممارسات إجتماعية بحيث يختلط بعضها الآخر ولها علاقة بعامة الناس.

فلا بدّ من التعامل معها بدرجة عالية من الحكمة والدقة، فهي ليست مجرد قضية فكريه أو ثقافية أو تاريخية توضع للنقد أو للدراسة، وبدون ذلك فسوف نجد أمامناإختلافاً واسعاً وصراعاً حاداً في الأمة تكون أضراره أكثر من الفوائد

المترتبة على عملية التهذيب.

لذلك نعتقد أن هذا الدور لا بد أن يمارس على مستويات:

الأول: المستوى العلمي وهذا ما يجب أن يمارسه العلماء والمفكرون في الأوساط العلمية التي يمكنها عادة أن تستوعب اختلاف الآراء والنظريات والإثارات التي تكون قبل النضج أو الوصول إلى مرحلة اليقين والوضوح.

الثاني: المستوى الثقافي العام وهذا مما يجب أن يمارسه العلماء والمفكرون في الأوساط الثقافية كالمجلات التخصصية والندوات والمؤتمرات لإيجاد الأرضية الثقافية والفكرية للتهذيب.

الثالث: المستوى الجماهيري العام وهذا مما يجب أن تقوم به القيادة السياسية الاجتماعية الدينية «ولي الأمر» أو «المرجع الديني السياسي» حيث يمكنه أن يشخص طبيعة الظروف ويقارن بين المصالح والمفاسد ويقدم الأهم على المهم والواجب على المستحب وغير ذلك من الشؤون ذات العلاقة بالحركة الاجتماعية والسياسية، ولا يصح - بحسب تصوري - أن يقوم به غيره من الأشخاص.

نعم يجب على المفكرين والمجتهدين والعلماء والأدباء والخطباء والكتاب وغيرهم من الأوساط الثقافية أن يقفوا إلى جانب هذا القرار القيادي في عملية الإصلاح والتهذيب.

وبالنسبة إلى الشق الثاني من السؤال فإن من الواضح أن الشعائر الحسينية لا يصح استغلالها للمصالح الشخصية حتى لو كانت في الإطار الصحيح، وأما إذا كانت في الإطار غير الصحيح وبدون استناد شرعي أو علمي فإن ذلك من أعظم المحرمات الشرعية وبه يفتح باب النفاق والإرتداد الواقعي بل يؤدي - ونعوذ بالله - إلى الإرتداد الظاهري أيضاً.

فتوى التحريم

كيف تقيّمون موقف الإمام الخامنئي الحازم من بعض الممارسات الشعائرية الخاطئة « مثل ضرب الرؤوس بالسيوف والسكاكين أو ما يسمّى بالتطبير » حينما

قال: إنها بدعة وليست من الدين، ولا شك في أن الله لا يرضى على ذلك؟

اتضح من خلال الأجوبة السابقة بعض معالم تقييم هذا الموقف **فإن في هذا الموقف جانبين:**

الأول: إن هذه الأعمال بدعة في الدين.

الثاني: إنه على خلاف المصلحة العامة للجماعة الصالحة ويمثل وهناً في حركتها وإساءة لسمعتها مما لا يرضي الله ورسوله.

وتشخيص عنوان البدعة في الدين يرتبط بموضوع إجتهادي، وهو أن هذه الممارسات هي خارج مصداقية تعظيم شعائر الله، فالإتيان به بعنوان التدّين والتقرّب إلى الله تعالى يصبح بدعة في الدين، حيث لم يرد النص فيها ولا ينطبق عليها عنوان شرعي.

ولا يكفي في صحتها أن تكون جائزة في نفسها لأن الناس ياتون بها، بعنوان الدين والتقرب إليه تعالى بها وهذا مما يحتاج إلى عنوان شرعي صحيح.

والجانب الثاني إنما يكون تشخيصه بيد ولي الأمر وهو المسؤول عنه، ولا شك أن سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي هو الشخص الأول الذي تجتمع فيه شروط الولاية الشرعية والشخصية والاجتماعية والسياسية، لذا فإن هذا الموقف مما يجب الإلتزام به في دائرة الحكم الصادر.

كتب التاريخ والمقاتل

هل تعتقد بأن كتب التاريخ وكتب السيرة - وفي رواية مقتل الإمام الحسين عليه السلام وما رافقته من أحداث - بحاجة إلى مراجعة وتنقيح؟

لا شك بأن كتب التاريخ والسيرة تحتاج إلى مراجعة وتحقيق ونقد ومناقشة واستلهام وإستنطاق بصورة مستمرّة شأنها في ذلك شأن بقية التراث.

ولا يوجد لدينا أقدس من القرآن الكريم الذي لا شك في صدوره وثبوت نصّه ومع ذلك نحن بحاجة مستمرة لمراجعته والتدبر فيه وإستلهامه وإستنطاقه، وكذلك الحال في الأحاديث والروايات التي تحكي السنة فإنها أقدس ما تلقيناه من التراث الإسلامي بعد القرآن، ولكنها مع ذلك تخضع باستمرار إلى المراجعة والنقد والإستنطاق سواء على مستوى السند أو المضمون.

وهذا مما يمتاز به مذهب أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم العلمية، ولكن يجب الإنتباه إلى أن هذه المراجعة لا بد أن تخضع للأصول والضوابط العلمية، وأن تنطلق من الأسس والقواعد والمسلمات الدينية لتصبح هذه المراجعة ذات قيمة علمية وعملية وتترتّب عليها الآثار والنتائج المطلوبة.

كما أنها يجب أن تكون ذات هدف شرعي أو سياسي أو تربوي أو علمي.

ومن هنا لا بد لهذه الدراسات أن تخضع إلى:

١) الضوابط العلمية المقرّرة في علم الأصول ووسائل الإثبات.

٢) أن تكون ضمن الأوساط الثقافية المعنية بهذه الدراسات بحيث تطرح الإثارات العلمية والشكوك فيها وتطرح النتائج والمحصلة العلمية

على الجمهور، كما هو الحال في الأبحاث الأخرى كالأبحاث الطبية أو الاجتماعية.

٣) أن يكون الهدف منها واضحاً وصالحاً بإتجاه تطوير المجتمع الإسلامي أو المحتوى العلمي، لأن المبدأ العام في العلم هو العمل والمنفعة وقد ورد في الدعاء الإستعاذة من العلم الذي لا ينفع فضلاً عن العلم الذي يضر.

أما أن يكون البحث للإثارة ومجرد إيجاد الشك والريب أو الطعن في العقائد والتقاليد الاجتماعية، فهذا مما يوجب الإختلاف في المجتمع ويؤدي إلى أضرار بالغة دون أن يحقق الهدف العلمي، حيث يضيع الهدف العلمي والإجتماعي في زحمة التناقضات والإثارات والخلافات، إن هذه الأبحاث لا يمكن أن تنفصل عن القضية العقائدية والاجتماعية فهي ليست أبحاث تجريدية ينظر إليها المطالع وأبناء الأمة نظرة حيادية، حيث أنها تمس حياته الروحية والتزاماته الاجتماعية وتشكل جزءاً من الإطار العام لحركته.

نعم يمكن للقيادة السياسية الدينية والاجتماعية أن تتخذ قراراً بطرح الموضوعات أو إثارتها إذا كان الهدف منها التوعية العامة، وإيجاد الأرضية المناسبة للقرار الذي تريد أن تتخذه بشأن هذا الموضوع أو ذاك، أو كانت الإثارات لا تسبب الإختلاف والنزاع.

وبهذا الصدد لا بد من الإنتباه إلى أن قضية الإمام الحسين عليه السلام لعظمتها وكثرة ابعادها وآفاقها وعمق المأساة والمحنة فيها وحجم الآلام العظيمة التي إقترنت بها مع قلة النصوص والمصادر التي تناولتها، قد تلفت وتوحي للنظر إلى فكرة أن أهل البيت عليهم السلام قد تركوا للذهن البشري والعواطف الإنسانية الجيّاشة أن تتصور وتتخيل ما يناسب هذه القضية، مما يعبّر عن أبعادها وآفاقها بالصورة التي تنسجم مع هذا الوسط.

أو ذاك من الأوساط الاجتماعية، ولكن كل ذلك في الإطار الصحيح الذي حدّده أهل البيت عليهم السلام من خلال النصوص الصحيحة التي وردت عنهم في تحديد أبعاد هذه الحركة في أهدافها ومقاصدها ومضمونها العقائدي والأخلاقي والروحي والإجتماعي.

وبذلك يمكن أن تفسر ظاهرة قد تبدو غريبة وهي: عدم صدور نص أو بيان تفصيلي عن أهل البيت عليهم السلام في هذه القضية، مع أن عدداً منهم كالإمام زين العابدين عليه السلام والحسن المثنّى والإمام الباقر عليه السلام والعقيلة زينب وغيرهم من أهل البيت عليهم السلام قد عاشوا المأساة وشاهدوها عن كثب، ولا شك أن هذه القضية كانت من الأهمية بمستوى عالٍ جداً لديهم، بحيث لا نجد واحداً من أئمة أهل البيت عليهم السلام إلا وتحدّث عنها وعن أهمّيتها، ولكن لم يرد نص كامل عنهم يشرح تفاصيلها.

كما أن أهل البيت عليهم السلام قد حثّوا شيعتهم ومواليهم ومحبيّهم أن يتناولوا هذه القضية بالحديث والتحليل ورغبوا الشعراء والأدباء والمتحدثين أن يقولوا فيها ما تجود به قرائحهم، وتناولها تصّوراتهم ومخيلتهم.

وهذا لا يعني بطبيعة الحال الإنقلاب في الحديث أو الإستغراق أو التجديف في التصور لها، بل لا بد أن يتم ضمن الإطار الصحيح الذي اشرت إليه، مما ذكره أهل البيت عليهم السلام في الحديث عنها، لا سيما في نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام المأثورة.

الخطيب والمسؤلية الرسالية

إذا كان المنبر الحسيني بهذا القدر من الخطورة السياسية والاجتماعية والعقائدية، فهل تفكرون بإنشاء مؤسسات تتولّى إعداد خطباء رساليين أم سيبقى الخطيب وليد بيئته ونتاج جهوده الشخصية؟

لقد كانت فكرة تربية الخطيب الحسيني الصالح الذي يكون قادراً على أداء وظيفته الرسالية، من الأفكار المهمة التي لقيت عناية خاصة من قبل المرجعية الدينية والحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم المقدسة وغيرهما في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، وذلك بسبب التطوّرات الكبيرة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي حدثت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، والإحساس بالحاجة الحقيقية لهذا التطور في هذه المؤسسة الثقافية والروحية في مدرسة أهل البيت سلام الله عليهم.

وقد طرح في هذا المجال منهجان رئيسيان:

المنهج الأول: إنشاء مؤسسة خاصة تهتم بهذا الإعداد للخطباء، وقد راجت فكرة هذا المنهج في حوزة النجف الأشرف، وحاول بعض العلماء أن يقوموا بهذه المهمة ولكنها وجدت مقاومة في البداية شأنها شأن كل الأفكار الإصلاحية ثم فشلت المحاولة بسبب إنفصالها عن إطار الحوزة العلمية وعدم قدرتها على القيام بدورها بدون وجود غطاء إجتماعي وسياسي وشرعي مناسب، بالرغم من أن المتصدين لهذه الفكرة كانوا جماعة ونخبة من أبناء الحوزة العلمية ومن أسرها المعروفة، مثل: آل الحكيم، وبحر العلوم، وآل الشيخ راضي، ولم يتخرج من هذه المؤسسة إلا عدد محدود، وكان العدد جيداً وصالحاً من الخطباء.

ثم تلت بعد ذلك محاولات صغيرة كان أداؤها أقل وإن كانت ظروفها أفضل والإحساس بالحاجة ووجود مستوى للوعي الثقافي أكثر.

المنهج الثاني: تطوير وضع الحوزة العلمية في مجال التبليغ والإهتمام بالمنبر الحسيني، بحيث تتحول قضية المنبر الحسيني من حالة الإحتراف المعروفة إلى ممارسة رسالية تتسم بالتطوع والدوافع الذاتية والرسالية ويكون هذا التطوير في إطار الحوزة العلمية وضمن مؤسساتها وقابلياتها وغطائها.

وهذا ما تبنته الحوزة العلمية في قم المقدسة وفي إيران بصورة عامة، حيث وجدنا رجالاً على مستوى الإجتهاد المطلق وقد أصبح بعضهم – الآن – من المراجع العظام يمارسون هذا الدور، فضلاً عن المستويات الأخرى من الفضل والمعرفة وبذلك أصبح المنبر الحسيني يقوم على قاعدة قوية وعريضة من العلوم الإسلامية والضوابط الشرعية والأخلاقية مما أوجد ما يمكن أن نسميه بقفزة كبيرة في مستوى الثقافة الأسلامية والحسينية في إيران، والبلاد التي تفاعلت مع هذا المنهج.

وللتاريخ لا بدّ أن نشير إلى أن حوزة النجف الأشرف في زمان مرجعية الامام الحكيم تَنِّئُ قد تبّنت هذا المنهج والمشروع، ليس على مستوى الخطباء فحسب، بل على مستوى جميع الشعائر الحسينية، وتمكنت أن تحقق بعض النتائج المحدودة، إلا أن تدهور الأوضاع السياسية في العراق عاجل هذه

الحركة الأصلاحية ومنعها من تحقيق أهدافها الصالحة في هذا المجال.

مواصفات الخطيب

ما هي مواصفات الخطيب النموذجي الذي يستطيع أن يؤدي وظيفته الرسالية من خلال المنبر الحسيني؟

المواصفات التي يستطيع الخطيب الصالح أن يؤدّي مهمته من خلالها عديدة لا يمكن إستيعاب تفاصيلها في هذا الحوار المحدود، ولكن أشير إلى بعضها على نحو الإجمال:

١) المستوى العلمي المناسب في المعرفة الأسلامية الذي يمكنه من تمييز الغث من السمين والصحيح من الفاسد والحق من الباطل، وهو مستوى ما يسمى بالسطح العالي في الدراسات الحوزوية مع معرفته بالتفسير والكلام والفلسفة والأخلاق وعلم الحديث.

٢) الإيمان برسالة الحوزة العلمية في الحياة الإنسانية والإسلامية ودورها الثقافي والسياسي فهي رسالة الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام والعلماء الصالحين، رسالة نور وبناء وتكامل وتزكية وتطهير وتعليم للكتاب والحكمة وإبلاغ للرسالة الإلهية.

٣) تحمّل مسؤولية البلاغ للأمة والخشية من الله تعالى وحده دون الخشية من الناس ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ [الأحزاب : ٣٩]. والإبتعاد عن الاحتراف والإستشكال بالعلم والمعرفة والهداية، بحيث يكون هدفه تقريب الناس إلى الله والإسلام والهدى والحق والعدل لا مجرد الإعجاب به وبحديثه وكلامه.

٤) التقوى والورع في السلوك الخاص والعام، وليكون القدوة فيما يبلغ من أحكام وأخلاق وسنن وحكمة وليخرج الكلام من قلبة ليدخل في قلوب الناس، والورع فيما يقول ويتحدث به في مقاصده وأهدافه وفي مضمونه ومحتواه، حيث لا بدّ له من الإستناد إلى حجة شرعية فيما ينقله للناس بأن يكون حصيلة إجتهاد صحيح منه إن كان بمستوى الإجتهاد في علمه أو من العلماء الصالحين

الذين ينقل عنهم. فقد ورد في الحديث أن: (من أصغى لمتكلم فقد عبده).

٥) المعايشة اليومية للحياة الاجتماعية العامة ولقضايا المسلمين وأحوالهم ومشاكلهم ومعالجتها بالحكمة والموعظة الحسنة واستخلاص العبرة من التاريخ الإنساني سيّما تاريخ الرسالات الإلهية للإستفادة منها في هذه المعالجة وتطبيقها على الواقع الإجتماعي المعاصر، كما هو إسلوب القرآن الكريم في الحديث.

٦) المعرفة بمناهج الخطابة وأساليب التأثير على السامعين والبلاغة في تشخيص الحالة والمقام والفصاحة في التعبير عن ذلك.

٧) المادّة الخطابية الصالحة من الآيات الكريمة والروايات الشريفة والنصوص الأدبية أو التاريخية أو العلمية القوية والمؤثّرة، والثقافة الإسلامية العامة التي يحتاجها في حديثه وخطابه، ولاسيما ذات العلاقة ببحثه وموضوع كلامه.

فهرست الكتاب

الأهداف والمنطلقات..٣
الأهداف التفصيلية ٦
أهمية الشعائر ٧
تفعيل الشعائر..٨
شرعية الممارسة..١٠
حكم المستجد من الشعائر..١٢
تصحيح الشعائر ١٤
فتوى التحريم..١٦
كتب التاريخ والمقاتل ١٨
الخطيب والمسؤلية الرسالية ٢٠
مواصفات الخطيب ٢٢